المحور الثالث: تكوين المصطلح وضوابطه اللغوية

مقدمة:

تنبع أهمية تكوين المصطلح من كونه عملية مركّبة تجمع بين البعد المعرفي واللغوي، حيث تبدأ بتحديد المفهوم تحديدًا دقيقًا، ثم اختيار الصيغة اللغوية الملائمة له وفق آليات متعددة كالاشتقاق، والترجمة، والتعريب، والتركيب. غير أن هذه العملية لا تكون ناجحة إلا إذا خضعت لجملة من الضوابط اللغوية التي تضمن دقة المصطلح، ووضوحه، وانسجامه مع خصائص اللغة العربية، وقابليته للتداول والاستعمال العلمي.

وعليه، يهدف هذا الدرس إلى دراسة مفهوم تكوين المصطلح وآلياته، والكشف عن أهم الضوابط اللغوية التي تحكمه، وذلك في إطار مقاربة علمية تسعى إلى ترسيخ الوعي الاصطلاحي وضبط استعماله في البحث الأكاديمي.

أولًا: مفهوم تكوين المصطلح

1) التمييز بين المفهوم والمصطلح:

عند الحديث عن تكوين المصطلح لا بدّ من الانطلاق من التمييز الدقيق بين:

- **المفهوم :(Concept)** تمثّل ذهني مجرّد لشيء أو ظاهرة أو علاقة علمية.
- **المصطلح :(Term)** اللفظ أو التركيب اللغوي الذي يُخصَّص للدلالة على ذلك المفهوم داخل حقل معرفي محدّد.

فالمفهوم سابق منطقيًا على المصطلح؛ إذ لا يُنشأ المصطلح إلا بعد ضبط المفهوم وضوحًا وحدًّا ورسمًا، وهذا ما شدّد عليه أوجين ووستر في تصوّره للمصطلحية بوصفها علمًا ينطلق من **تنظيم المفاهيم** قبل اختيار الألفاظ.

مثال:

- المفهوم: علاقة تداخل نصّ مع نصوص سابقة.
- المصطلح: "التناص".

فلو لم يُحدَّد المفهوم بدقة، لأمكن أن نخلطه بالاقتباس أو السرقة الأدبية، بينما التناص أوسع وأعمق من ذلك.

2) تعريف تكوين المصطلح:

هو عملية لغوية معرفية يتمّ من خلالها اختيار أو توليد دالٍّ لغويٍّ جديد أو مخصَّص ليعبّر عن مفهوم علمي محدّد داخل نسق اصطلاحي منظم، ويتضح من هذا التعريف أن العملية ليست لغوية صرفًا، بل تمرّ بثلاث مراحل:

1. **مرحلة مفهومية:** ضبط المعنى.
2. **مرحلة لغوية:** اختيار الصيغة المناسبة.
3. **مرحلة تداولية:** قبول المصطلح وانتشاره في الوسط العلمي، فالمصطلح ليس مجرد كلمة، بل "أداة ضبط معرفي"، أي إنه وسيلة لتنظيم الفكر العلمي.

3) الفرق بين الكلمة العادية والمصطلح:

الكلمة العامة	المصطلح
دلالة واسعة	دلالة محددة
تقبل المجاز	لا تقبل الغموض
مرتبطة بالاستعمال اليومي	مرتبطة بحقل علمي
قد تتعدد معانيها	يفترض فيها الأحادية

مثال:

- كلمة "بنية" في الاستعمال العام قد تعني: البناء، التكوين، التركيب .
- لكن في السياق النقدي (البنيوية)، صارت تدل على نظام العلاقات الداخلية للنص، خصوصًا بعد شيوع الفكر البنيوي عند رولان بارت.

إذن فالمصطلح ينتقل من المجال التداولي العام إلى المجال التخصصي المقنّن.

4) تكوين المصطلح بين التراث والحداثة:

أ) في التراث العربي:

لم يكن القدماء يستعملون لفظ "المصطلحية"، لكنهم مارسوا الفعل المصطلحي بوعي كبير، خاصة في:

- النحو
- البلاغة
- أصول الفقه
- علم الكلام

فمصطلحات مثل:

- الفاعل
- المفعول
- الإسناد
- البيان
- المجاز

كلها نشأت نتيجة حاجة علمية لضبط مفاهيم دقيقة.

ويظهر وعي المصطلح في كتب البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، حيث فرّق بين المعاني الذهنية وطريقة نظمها في اللفظ.

ب) في العصر الحديث:

مع دخول العلوم الحديثة، برزت الحاجة إلى:

- ترجمة المصطلحات الغربية.
- توحيد المقابلات العربية.
- إنشاء معاجم اصطلاحية متخصصة.

وهنا ظهر علم المصطلحية بوصفه علماً قائماً بذاته، خاصة مع المدرسة النمساوية.

5) أبعاد تكوين المصطلح:

أ) البعد المعرفي:

المصطلح يعكس درجة تطور الحقل العلمي، فكلما تطور العلم، تكاثرت مصطلحاته.

مثال: في النقد القديم لم يكن هناك:

- السرديات
- التداولية
- التفكيكية

لكن مع تطور الدراسات الأدبية ظهرت هذه المفاهيم، فاستدعت مصطلحات جديدة.

ب) البعد اللغوي:

تكوين المصطلح في العربية يخضع لخصائص اللغة:

- الاشتقاق
- الوزن الصرفي
- الجذر
- قابلية التوليد

مثال: جذر (س ر د):

- سرد
- سردي
- سردية
- مسرود

هذه القابلية تجعل العربية لغة منتجة اصطلاحيًا.

ج) البعد الثقافي:

المصطلح ليس حياديًا دائمًا؛ فقد يحمل خلفية فلسفية أو إيديولوجية. مثال: مصطلح "التفكيك" المرتبط بفكر جاك دريدا لا يدل فقط على عملية تحليل، بل على موقف فلسفي من اللغة والمعنى.

6) شروط الانطلاق السليم في تكوين المصطلح:

قبل صياغة أي مصطلح ينبغي:

1. قراءة التعريفات الأصلية في لغتها.
2. فهم السياق النظري الذي نشأ فيه المفهوم.
3. مقارنة الترجمات المتداولة.
4. اختبار الصيغة عربيًا من حيث الوزن والانسجام.

7) أهمية تكوين المصطلح في البحث الأكاديمي:

بالنسبة للباحث الأكاديمي يجب عليه أن يضبط المصطلح وهذا يعني ضبط المنهج، واضطراب المصطلح يؤدي إلى اضطراب التحليل، وعليه يجب توحيد المصطلح لأنه يعكس نضج الخطاب العلمي، ولهذا فإن أي بحث في أي مجال يجب أن يبدأ بتحديد المصطلحات تعريفًا وإجرائيًا.

إذن، تكوين المصطلح:

- ليس ترجمة عشوائية.
- وليس اشتقاقًا اعتباطيًا.
- بل هو عملية منهجية مركبة تبدأ بالمفهوم وتنتهي بالتداول العلمي.

وهو في جوهره فعل تنظيمي للعقل العلمي، ومرآة لنضج الحقول المعرفية.

ثانيًا: دواعي تكوين المصطلح

تكوين المصطلح لا يحدث اعتباطًا، بل تفرضه تحوّلات معرفية ومنهجية وثقافية، ويمكن ردّ أهم الدواعي إلى المحاور الآتية:

1) تطوّر العلوم وظهور مفاهيم جديدة:

كل علم يتقدّم ينتج مفاهيم لم تكن معروفة من قبل، فتبرز الحاجة إلى تسميتها بدقّة، **مثال** مع ظهور اللسانيات البنيوية عند فرديناند دي سوسير في محاضرات في اللسانيات العامة، تغيّر النظر إلى اللغة بوصفها نظام علاقات، فاستُحدثت مصطلحات مثل:

- الدال
- المدلول
- البنية
- النسق

ومع تطوّر السرديات لاحقًا ظهرت مفاهيم مثل:

- الراوي
- التبئير
- الزمن الحكائي، وقد تأصّلت هذه المصطلحات في أعمال جيرار جنيت، فكلّما توسّع الحقل العلمي، تكاثرت مصطلحاته

2) الحاجة إلى الدقة والضبط المنهجي:

في البحث العلمي لا تكفي الكلمات العامة، بل يُحتاج إلى ألفاظ محدّدة بدلالة واحدة داخل الحقل، **مثال:** كلمة "حكي" لفظ عام، أما "سرد" في الدراسات السردية فهو مفهوم محدّد له خصائص زمنية وبنائية، لو استعمل الباحث اللفظين على السواء دون ضبط، وقع في اضطراب مفهومي.

3) الترجمة ونقل المعارف:

مع انتقال العلوم الحديثة إلى العربية، واجه الباحثون إشكال إيجاد مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية، **مثال:** مصطلح:Intertextuality

- تداخل نصي (ترجمة حرفية)
- تناص (صياغة اشتقاقية عربية)

وقد شاع استعمال "التناص" في النقد العربي بعد أعمال جوليا كريستيفا، هنا يصبح تكوين المصطلح ضرورة ثقافية للحفاظ على استقلال اللغة العلمية العربية.

4) توحيد الخطاب العلمي:

غياب التوحيد يؤدي إلى فوضى اصطلاحية، **مثال** Deconstructionتُرجمت إلى:

- التفكيك
- التقويض
- التشريح البنيوي

وهذا التعدّد يربك الطلبة والباحثين، خاصة وأن المفهوم مرتبط بفلسفة جاك دريدا، لذلك سعت مؤسسات علمية مثل:

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة
- مكتب تنسيق التعريب

إلى توحيد المقابلات الاصطلاحية.

5) الحاجة إلى الاقتصاد اللغوي: المصطلح يختزل تعريفًا طويلًا في لفظ واحد.

✓بدل أن نقول: "العلم الذي يدرس العلاقات الداخلية للنص" نقول: "البنيوية".

✓بدل: "العلم الذي يدرس العلامات وأنظمة الدلالة" نقول: "السيميائيات".

وهذا ما يجعل المصطلح أداة اختزال معرفي.

6) بناء الهوية العلمية للحقل المعرفي:

لا يترسّخ أي علم دون جهاز اصطلاحي واضح، فكما أن النحو العربي استقرّ بمصطلحات:

- الفاعل
- المبتدأ
- الخبر

كذلك النقد الحديث استقرّ بمصطلحات:

- البنية السردية

- التبئير
- التناص
- الخطاب

فالجهاز الاصطلاحي هو الذي يمنح الحقل استقلاله.

7) الاستجابة للتحولات الرقمية والتقنية:

في العصر الراهن، ظهرت مصطلحات جديدة مرتبطة بالتحولات التقنية:

- الذكاء الاصطناعي
- الحوسبة اللغوية
- النص الرقمي
- الوسائط المتعددة

وهنا تتجدد عملية التوليد الاصطلاحي باستمرار.

ويمكن تلخيص دواعي تكوين المصطلح في ثلاث حركات أساسية:

1. **حركة معرفية:** تطور المفاهيم.
2. **حركة لغوية:** البحث عن صيغة ملائمة.
3. **حركة تداولية:** ترسيخ المصطلح في الوسط العلمي، ومن دون هذه الدوافع لا ينشأ المصطلح، ولا يستقرّ.

ثالثًا: آليات تكوين المصطلح في اللغة العربية

تتعدد الآليات التي تعتمدها اللغة العربية في توليد المصطلحات، وتمتاز بمرونة اشتقاقية وبنيوية تجعلها لغة قادرة على استيعاب المفاهيم الحديثة دون فقدان هويتها، ويمكن تصنيف هذه الآليات إلى: الاشتقاق، التعريب، الترجمة، النحت، التركيب، والمجاز الاصطلاحي.

1) الاشتقاق (الآلية الأصيلة في العربية):

أ) تعريفه: هو توليد ألفاظ جديدة من جذر لغوي واحد وفق أوزان صرفية مختلفة، مع الحفاظ على الصلة الدلالية بين الأصل والفروع، وقد أبرز ابن جني في الخصائص الطاقة التوليدية للاشتقاق في اللغة العربية، معتبرًا أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست اعتباطية تمامًا، بل تقوم على مناسبة صوتية ودلالية.

ب) أنواعه في التكوين الاصطلاحي:

1. **الاشتقاق الصغير (القياسي):** وهو الأكثر استعمالًا، مثال من جذر (ن ص ص):

- نص
- نصي
- نصية
- تناص
- تناصي

هنا نلاحظ:

- قابلية الجذر للتوسع المفهومي.
- إمكان إنتاج شبكة اصطلاحية كاملة.

2. **الاشتقاق الصناعي:** بإضافة ياء النسب وتاء التأنيث، مثال:

- بنية ← بنيوي ← بنيوية
- شكل ← شكلي ← شكلانية
- سرد ← سردي ← سردية

وهذا النمط مكّن من ترجمة مصطلحات غربية مثل Structuralism إلى "بنيوية."

ج) مزايا الاشتقاق في المصطلحية:

- يحافظ على الهوية اللغوية.
- يضمن الانسجام الصرفي.
- يسمح بتوليد مصطلحات متفرعة من أصل واحد.

لذلك يُعدّ الاشتقاق الخيار الأمثل متى توفّر جذر مناسب.

2) الترجمة (النقل الدلالي):

أ) تعريفها: هي إيجاد مقابل عربي يؤدي المعنى نفسه دون نقل الصوت الأجنبي.

أمثلة:

- Linguistics → اللسانيات
- Pragmatics → التداولية
- Narratology → السرديات

ب) شروط الترجمة الناجحة:

1. فهم السياق النظري للمفهوم.
2. تجنب الحرفية المضللة.
3. مراعاة النظام الصرفي العربي.

مثال : Structuralismلو تُرجمت إلى "التركيبية" لأوحت بالجانب النحوي، بينما "البنيوية" أدق لأنها تحيل إلى نظام العلاقات.

3) التعريب:

أ) تعريفه: إدخال اللفظ الأجنبي بعد إخضاعه للبنية الصوتية العربية.

أمثلة:

- فلسفة (عن اليونانية)
- ديمقراطية
- بيروقراطية
- تكنولوجيا

ب) متى يُلجأ إليه؟

- عند غياب مقابل عربي مناسب.

- عندما يكون المصطلح عالمي التداول.

لكن يُؤخذ عليه أحيانًا أنه يضعف قابلية الاشتقاق، مثال: "تلفاز" أنسب اشتقاقيًا من "تلفزيون."

4) النحت:

أ) تعريفه: دمج كلمتين أو أكثر في لفظ واحد، أمثلة:

- بسملة
- حوقلة
- كهرومغناطيسي (كهرباء + مغناطيس)

النحت أقل استعمالًا في المصطلحية الحديثة، لكنه مفيد في المجالات التقنية.

5) التركيب:

أ) تعريفه: تكوين مصطلح من كلمتين أو أكثر مع بقاء كل كلمة مستقلة، أمثلة:

- علم الدلالة
- البنية السردية
- الذكاء الاصطناعي
- الحقول الدلالية

فالتركيب يوفّر وضوحًا دلاليًا، لكنه قد يفتقر إلى الإيجاز مقارنة بالمفردة المشتقة.

6) المجاز الاصطلاحي (النقل المفهومي):

وهو الذي يُنقل فيه لفظ من دلالته الأصلية إلى معنى اصطلاحي جديد، مثال: "بنية" كانت تعني البناء المادي، ثم أصبحت تدل على النظام العلائقي الداخلي في الفكر البنيوي المرتبط بأعمال رولان بارت، وهذا النقل يتم عبر تضييق الدلالة وتخصيصها.

- **مقارنة تحليلية بين الآليات**

الآلية	الأنسب	القوة	الضعف

الاشتقاق	العلوم الإنسانية	أصيل – منتج – قابل للتوليد	يحتاج جذر مناسب
الترجمة	المفاهيم النظرية	دقيق مفهوميًا	قد يقع في الحرفية
التعريب	التخصصات التقنية والعلوم	سريع الانتشار	ضعف الاشتقاق
النحت	المصطلحات التقنية	إيجاز	محدود الانتشار
التركيب	التعليم والشرح	وضوح	طول العبارة

إذن آليات تكوين المصطلح في اللغة العربية ليست اعتباطية، بل تحكمها:

- البنية الصرفية،
- الدقة المفهومية،
- التداول العلمي،
- والانسجام الثقافي.

وأكثر الآليات ملاءمة للغة العربية هي **الاشتقاق والترجمة المفهومية**، لما تتمتع به اللغة من نظام جذري مرن.

رابعًا: الضوابط اللغوية لتكوين المصطلح

تكوين المصطلح لا يكتمل بمجرد اختيار لفظ مناسب، بل يخضع لجملة من الضوابط التي تضمن سلامته العلمية واللغوية، وتحول دون الفوضى الاصطلاحية، وهذه الضوابط تتداخل فيها اعتبارات دلالية وصرفية وتداولية ومنهجية.

1) الضبط المفهومي (الدقة العلمية):

أول شرط في المصطلح أن يكون معبِّرًا عن **مفهوم محدّد بدقة** داخل حقل معرفي معيّن، **مثال:** مصطلح "الخطاب" في النقد الحديث لا يعني مجرد "الكلام"، بل يدل على منظومة لغوية مرتبطة بسياق وسلطة وبنية تداولية، كما يتضح في الدراسات المتأثرة بأعمال ميشيل فوكو، فلو استُعمل "الخطاب" بمعناه العام دون ضبط، اختلّ التحليل، إذن: لا يُنشأ المصطلح انطلاقًا من اللفظ، بل من تحديد المفهوم وحدوده وعلاقاته بالمفاهيم المجاورة.

2) الأحادية الدلالية (منع الترادف داخل الحقل المعرفي):

المصطلح العلمي يفترض فيه أن يكون أحادي الدلالة داخل مجاله، **مثال:** مصطلح Narratology تُرجم إلى:

- علم السرد
- السرديات
- السردية

والأكثر دقة واستقرارًا هو "السرديات" لأنه يدل على حقل معرفي، بينما "السردية" قد تحيل إلى خاصية أو سمة، فتعدد المصطلحات لمفهوم واحد يؤدي إلى اضطراب البحث العلمي، خاصة في الدراسات الجامعية.

3) الانسجام مع النظام الصرفي العربي:

ينبغي أن يخضع المصطلح لأوزان العربية وقواعدها الاشتقاقية، **مثال:**

- بنية ← بنيوي ← بنيوية
- شكل ← شكلي ← شكلانية

مثال آخر: استعمال ألفاظ معرّبة لا تقبل الاشتقاق بسهولة، مثل: "براغماتيك" بدل "تداولية"، فكلما كان المصطلح منسجمًا صرفيًا، زادت قابليته للتوليد، وقد أشار ابن جني في كتابه الخصائص إلى أهمية مراعاة نظام اللغة العربية في توليد الألفاظ.

4) الشفافية والوضوح:

المصطلح الجيد يكشف عن معناه أو يلمّح إليه دون تعقيد، **مثال: مصطلح** "الذكاء الاصطناعي" أكثر شفافية من تعريب لفظ أجنبي دون تفسير، لكن الشفافية لا تعني السطحية؛ فبعض المفاهيم الفلسفية المعقدة قد تحتاج إلى مصطلح غير شفاف تمامًا، بشرط أن يُعرّف بدقة.

5) الإيجاز والاقتصاد:

المصطلح يؤدي وظيفة اختزالية، لذلك ينبغي أن يكون موجزًا قدر الإمكان، **مثال:** نقول "التناص" بدل "تداخل النصوص داخل النص الواحد"، فكلما كان المصطلح مختصرًا دون إخلال بالدقة، كان أنسب للتداول.

6) القابلية للاشتقاق والتوسّع:

من خصائص المصطلح الجيد في اللغة العربية أن يسمح بتوليد مشتقات، مثال: سرد

- سردي
- سردية
- مسرود
- سرديات

نص:

- نصي
- نصية
- تناص
- تناصي

هذا يتيح بناء شبكة مفاهيم مترابطة داخل الحقل.

7) الاستقرار التداولي:

لا يكفي أن يكون المصطلح صحيحًا لغويًا، بل يجب أن يحظى بقبول في الوسط العلمي، **مثال:** مصطلح "التفكيك" استقرّ عربيًا بوصفه مقابلًا لـ Deconstruction المرتبط بفكر جاك دريدا، رغم وجود اقتراحات أخرى، فالاستعمال هو الذي يمنح المصطلح شرعيته النهائية.

8) التمييز بين الحقول:

قد يكون اللفظ ذاته صالحًا في حقل وغير صالح في آخر، مثال: "بنية" في الهندسة ≠ "بنية" في النقد البنيوي، وهنا تظهر ضرورة تعريف المصطلح تعريفًا إجرائيًا في كل بحث علمي.

مثال شامل للضوابط: مصطلح "التداولية"

1. الأصل Pragmatics
2. الترجمة: اشتقاق من "تداول"
3. الانسجام الصرفي: صحيح
4. القابلية للاشتقاق: تداولي – تداولية
5. الشفافية: تحيل إلى التداول والاستعمال
6. الاستقرار: مستقر في الدراسات اللسانية

إذن هو مصطلح مستوفٍ للشروط.

- **إشكالات عند غياب الضوابط:**

عند إهمال هذه المعايير تظهر مشكلات مثل:

- الترجمة الحرفية المضلِّلة.
- تعدد المقابلات.
- ضعف الاشتقاق.
- الغموض المفهومي.
- اضطراب الجهاز الاصطلاحي.

وهذا ما تعاني منه بعض الدراسات الحديثة.

إذن يمكن تلخيص ضوابط تكوين المصطلح في المعادلة التالية: ضبط المفهوم يعني

- انسجام صرفي
- أحادية دلالية
- شفافية
- قابلية اشتقاق
- قبول تداولي = مصطلح علمي راسخ

الخاتمة:

إن تكوين المصطلح ليس مجرد عملية لغوية شكلية أو ترجمة ميكانيكية، بل هو فعل معرفي يعكس مستوى نضج الحقل العلمي واستقلاله، فكل علم يثبت وجوده بجهازه الاصطلاحي، وكل اضطراب في المصطلح يؤدي إلى اضطراب في التفكير ذاته، وكلما كان المصطلح:

- منسجمًا مع خصائص العربية،
- دقيقًا في دلالته،
- قابلًا للتوليد،
- ومستقرًا في التداول،

كان أقدر على ترسيخ المعرفة وضبطها، وأسهم في بناء خطاب علمي عربي متماسك، قادر على الحوار مع المرجعيات العالمية دون فقدان خصوصيته اللغوية والثقافية.